فصـــل

[السؤال الرابع]

قال السائل : « **إن قلتم إن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ونحوهما شهدوا لنا بذلك من كتبهم فهلا أتى ابن سلام وأصحابه الذين أسلموا بالنسخ التى لهم كى تكون شاهدة علينا** » ؟ ا.هـ .

والجواب من وجوه :

الوجه الأول : أن شواهد النبوة وآياتها لا تنحصر فيما عند أهل الكتاب من نعت النبى ﷺ وصفته ، بل آياتها وشواهدها متنوعة متعددة جداً ، ونعته وصفته فى الكتب المتقدمة فرد من أفرادها ، وجمهور أهل الأرض لم يكن إسلامهم عن الشواهد والأخبار التى فى كتبهم ، وأكثرهم لا يعلمونها ولا سمعوا بها بل أسلموا للشواهد التى عاينوها والآيات التى شاهدوها وجاءت تلك الشواهد التى عند أهل الكتاب مقوية عاضدة من باب تقوية البينة وقد تم النصاب بدونها .

فهؤلاء العرب من أولهم إلى آخرهم لم يتوقف إسلامهم على معرفة ما عند أهل الكتاب من الشواهد ، وإن كان ذلك قد بلغ بعضهم وسمعه منهم قبل النبوة وبعدها كما كان الأنصار يسمعون من اليهود صفة النبى ﷺ ونعته ومخرجه ، فلما عاينوه وأبصروه عرفوه بالنعت الذى أخبرهم به اليهود فسبقوهم إليه ، فشرق[1] أعداء الله بريقهم وغصوا بمائهم[2] ، وقالوا : ليس هو الذى كنا نعدهم به ، فالعلم بنبوة محمد والمسيح وموسى صلوات الله وسلامه عليهم لا يتوقف على العلم بأن من قبلهم أخبر بهم وبشر بنبوتهم بل طرق العلم بها متعددة فإذا عرفت نبوة النبى ﷺ بطريق من الطرق ثبتت نبوته ووجب اتباعه وإن لم يكن من قبله بشر به .

فإذا علمت نبوته بما قام عليها من البراهين ، فإما أن يكون تبشير مَنْ قبله به لازماً لنبوته ، وإما أن لا يكون لازماً ، فإن لم يكن لازماً لم يجب وقوعه ولا يتوقف تصديق النبى عليه بل يجب تصديقه بدونه ، وإن كان لازماً عُلِم قطعاً أنه قد وقع ، وعدم نقله إلينا لا يدل على عدم وقوعه إذ لا يلزم من وجود الشىء نقله العام ، ولا الخاص ، وليس كل ما أخبر به موسى والمسيح وغيرهما من الأنبياء المتقدمين وصل إلينا ، وهذا مما يعلم بالاضطرار .

فلو قدر أن البشارة بنبوته ﷺ ليست فى الكتب الموجودة بأيديكم لم يلزم أن لا يكون المسيح وغيره بشروا به ، بل قد يبشرون ولا ينقل ، ويمكن أن يكون فى كتب غير هذه

---

(١) شَرِقَ فلانٌ بالماء : غَصَّ ، ويقال : شرق بريقه . (٢) غَصَّ بالماء : وقف فى حلقه فلم يكد يسيغه .

المشهورة المتداولة بينكم ، فلم يزل عند كل أمة كتب لا يطلع عليها إلا بعض خاصتهم فضلاً عن جميع عامتهم ، ويمكن أنه كان فى بعضها فأزيل منه وبدل ونسخت النسخ من هذه التى قد غيرت واشتهرت بحيث لا يعرف غيرها وأخفى أمر تلك النسخ الأولى ، وهذا كله ممكن ، لاسيما من الأمة التى تواطأت على تبديل دين نبيها وشريعته هذا كله على تقدير عدم البشارة به فى شىء من كتبهم أصلاً .

ونحن قد ذكرنا من البشارات به التى فى كتبهم ما لا يمكن لمن له أدنى معرفة منهم جحده والمكابرة فيه ، وإن أمكنهم المغالطة بالتأويل عند رعاعهم وجهالهم .

الوجه الثانى : أن عبد الله بن سلام قد قابل اليهود وأوقفهم بين يدى رسول الله ﷺ على أن ذكره ونعته وصفته فى كتبهم وأنهم يعلمون أنه رسول الله وقد شهدوا بأنه أعلمهم وابن أعلمهم وخيرهم وابن خيرهم ، فلم يضر قولهم بعد ذلك أنه شرهم وابن شرهم وجاهلهم وابن جاهلهم ، كما إذا شهد على رجل شاهد عند الحاكم فسأله عنه فعدله وقال إنه مقبول الشهادة عدل رضى لا يشهد إلا بالحق وشهادته جائزة علىَّ فلما أدى الشهادة قال : إنه كاذب شاهد زور ، ومعلوم أن هذا لا يقدح فى شهادته .

وأما كعب الأحبار فقد ملأ الدنيا من الأخبار بما فى النبوات المتقدمة من البشارة به وصرح بها بين أظهر المسلمين واليهود والنصارى ، وأذن بها على رؤوس الملأ وصدقه مسلمو أهل الكتاب عليها ، وأقروه على ما أخبر به ، وأنه كان أوسعهم علماً بما فى كتب الأنبياء ، وقد كان الصحابة يمتحنون ما ينقله ويزنونه بما يعرفون صحته فيعلمون صدقه ، وشهدوا له بأنه أصدق الذين يحكون لهم عن أهل الكتاب أو من أصدقهم ونحن اليوم ننوب عن عبد الله ابن سلام وقد أوجدناكم هذه البشارات فى كتبكم فهى شاهدة لنا عليكم والكتب بأيديكم فأتوا بها فاتلوها إن كنتم صادقين ، وعندنا ممن وفقه الله للإسلام منكم من يواقفكم ويقابلكم ويحاققكم عليها[1] ، وإلا فاشهدوا على أنفسكم بما شهد الله وملائكته وأنبيائه ورسله وعباده المؤمنون به عليكم من الكفر والتكذيب والجحد للحق ومعاداة الله ورسوله .

الوجه الثالث : أنه لو أتاكم عبد الله بن سلام بكل نسخة متضمنة لغاية البيان والصراحة لكان فى بهتكم وعنادكم وكذبكم ما يدفع فى وجوهها ويحرفها أنواع التحريف ما وجد إليه سبيلاً ، فإذا جاءكم بما لا قبل لكم به قلتم : ليس هو ، ولم يأت بعد ، وقلتم : نحن لا نفارق حكم التوراة ، ولا نتبع نبى الأميين . وقد صرح أسلافكم الذين شاهدوا رسول الله ﷺ وعاينوه أنه رسول حقاً ، وأنه المبشر به الموعود به على ألسنة الأنبياء المتقدمين ، وقال من قال منهم فى وجهه : نشهد أنك نبى ، فقال : « **ما يمنعك من اتباعى** ؟ » قال : إنا نخاف

---

(١) حاقّه : خاصمه وادعى كل منهما الحق لنفسه .

أن يقتلنا يهود . وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِم كَلِمَةُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ ۝ وَلَوْ جَاءَتْهُم كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ ﴾ [يونس : ٩٦ ، ٩٧] ، وقد جاءكم بآيات هى أعظم من بشارات الأنبياء به وأظهر ، بحيث إن كل آية منها يصلح أن يؤمن على مثلها البشر ، فما زادكم ذلك إلا نفوراً وتكذيباً وإباء لقبول الحق ، فلو نزَّل الله إليكم ملائكته وكلمكم الموتى وشهد له بالنبوة كل رطب ويابس لغلبت عليكم الشقوة وصرتم إلى ما سبق لكم فى أم الكتاب .

وقد رأى من كان أعقل منكم وأبعد من الحسد من آيات الأنبياء ما رأوا وما زادهم ذلك إلا تكذيباً وعناداً ، فأسلافكم وقدوتكم فى تكذيب الأنبياء من الأمم لا يحصيهم إلا الله حتى كأنكم تواصيتم بذلك أوصى به الأول للآخر واقتدى فيه الآخر بالأول ، قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ [الذاريات : ٥٢ ، ٥٣] ، وهب أنا ضربنا عن إخبار الأنبياء المتقدمين به صفحاً ، أفليس فى الآيات والبراهين التى ظهرت على يديه ما يشهد بصحة نبوته ؟! وسنذكر منها بعد الفراغ من الأجوبة طرفاً يقطع المعذرة ويقيم الحجة ، والله المستعان .

فصـــل

[السؤال الخامس]

قال السائل : « **إنكم نسبتم الأمتين العظيمتين المذكورتين إلى اختيار الكفر على الإيمان للغرض المذكور ، فابن سلام وأصحابه أولى بذلك الغرض ؛ لأنهم قليلون جداً ، وأضداده كثيرون لا يحصيهم عدد** » اهـ .

والجواب من وجوه :

أحدها : أنا قد بينا أن جمهور هاتين الأمتين المذكورتين آمن به وصدقه وقد كانوا ملء الأرض ، وهذه الشام ومصر وما جاورهما واتصل بهما من أعمالهما ، والجزيرة والموصل وأعمالهما ، وأكثر بلاد المغرب وكثير من بلاد المشرق ، كانوا كلهم نصارى فأصبحت هذه البلاد كلها مسلمين ، فالمتخلف من هاتين الأمتين عن الإيمان به أقل القليل بالإضافة إلى من آمن به وصدقه ، وهؤلاء عباد الأوثان كلهم أطبقوا على الإسلام إلا من كان منهم فى أطراف الأرض بحيث لم تصل إليه الدعوة ، وهذه أمة المجوس توازى هاتين الأمتين كثرة وشوكة وعدداً دخلوا فى دينه وبقى من بقى منهم كما بقيتم أنتم تحت الذلة والجزية .

الثانى : أنا قد بينا أن الغرض الحامل لهم على الكفر ليس هو مجرد المأكلة والرياسة فقط وإن كان من جملة الأغراض ؛ بل منهم من حمله ذلك ، ومنهم من حمله الحسد ، ومنهم من